واتوقّيه من قربكم واتمناه فذمام المروه يلزمكم ردّ هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها واذا
بابيات تتلو الخطاب وهي يا عامر العمر بالفتوة والقصف وحث الكؤوس والطرب
هل لك في صاحب يناسب في الغربة اخلاقه وبالادب اوحشه الدهر فاستراح الى قربكم مستمر اعلى النوب
فان تقبلت ما اتاك به لم تشن الظن فيه بالكذب وان ابى الزهد دون رغبتنا فكن كمن لم تقل ولم يجب
قال ابو الفرج فورد علي ما حيرني واسترد ما كان الشراب حازه من تمييزي وحصل لي في الجمله ان اغلب الاوصاف
على صاحبها الكتابه خطا وترسلا ونظما فشاهدته بالفراسه من الفاظه وحمدت اخلاقه قبل الاختبار
من رقعته وقلت للراهب ويحك من هذا وكيف السبيل الى لقايه قال متسهل اشبث قلت دلني قال تظهر فتورا
وتنصب عذرا تفارق به اصحابك منصرفا فاذا حصلت بباب الدير عدلت بك الى باب خفي تدخل منه فرددت
الرقعه عليه وقلت ارفعها اليه ليتاكد انسه بي وسكونه الي وعرفه ان التوفر على اعمال الحيله
في المبادره الى حضرته على ما اثره من التوحد اولي من التشاغل باصدار الجواب وقطع وقت بمكاتبته
ومضى الراهب وعدت الى اصحابي بغير النشاط الذي نهضت به فانكروا ذلك فاعتذرت اليهم بشي
عرض لي واستدعيت ما اركبه وتقدمت الى من كان معي من خدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا عملنا على
المبيت فاجمعوا على تعجيل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعي صبي كنت انس به وتقدمت
وتقدمت الى الشاكري برد الدابه وستر خبري ومباكرتي وتلقاني الراهب فعدل بي الى الطريق
في مضيق وادخلني الى الدير من باب غامض وصار بي الى باب قلايه متميز عما جاوره من الابواب
نظافة وحسنا فقرعه بحركات مختلفه كالعلامه فابتدرنا منه غلام كان البدر ركب على ازره شعرا
مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام اهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب اصداغه وطرته
في غلالة تنم على ما يستره وتجفو مع رقتها عما يظهره وعلى راسه مجلسيه منهت فبهر عقلي واستوقف
نظري ثم اجفل كالظبي المذعور وتلوته والراهب الى صحن القلايه فاذا انا ببيت فضي الحيطان رخامي
الاركان ينم طارقه خيشي مفروشه بحصير مستعمل فوثب الينا منه شاب مقتبل الشبيبه حسن
الصوره ظاهر النبل والهيبه متزي من اللباس بزي غلامه فلقيني حافيا يعثر بسراويله واعتنقني ثم
قال انما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لاجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعا عما
ترد عليه من مشاهدتي فاستحسنت اختصاره الطريق الى بسطي وابتداله النادره على نفسه حرصا
في تانيسي واخاهن في شكري على المسارعه الى امره وانا اواصل في خلال ذلك المبالغه في الاعتداد
به ثم قال يا سيدي انت مكدود بمن كان معك والاستمتاع بمحادثتك لا يتم الا بالتوصل الى راحتك وقد
كان الامر على ما ذكر فاستلقيت يسيرا ثم نهضت فخدمت في حالتي النوم واليقظه الخدمه التي الفتها
في دور الاكابر الملوك واجلة الروسا واحضرنا خادم له لو ارا احسن منه وجها ولا اسود امنه طبعا
يخدم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف فقال الاكل مني يا سيدي للحاجه ومنه للمساعده فنلنا شيا
واقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت الى فضاء ادى الينا محاسن الغوطه وحيانا بذخاير
رياضها من المنظر الجنائي والنسيم العطري وجانا الراهب من الاشربه بما وقع اختيارنا عليه منه
واقتعدنا غارب اللذه وجرينا في ميدان المفاوضه فلم يزل يناهبني نوادر الاخبار وملح الاشعار
ويخلط ذلك من المزح باظرفه ومن التودد بالطفه الى ان توسطنا الشرب فالتفت الى غلامه
وقال يا مترف ان مولاك ما ادخر عنا السرور ويجفو وده وما يجب ان ندخر ممكنا في مسرته فاشتعل
وجه الغلام حياء وخجلا فاقسم عليه بحياته وانا لا اعلم ما يريد ومضى وعاد يحمل طنبورا وجلس فقال

لي

لي يا سيدي تاذن لي في خدمتك فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظيم المسره بذلك فاصلح الغلام الطنبور
وضرب وغنى يا مالكي وهو ملكي وسالبي ثوب نسكي نزه يقينك الهوى بعيد عن تعرض شك لولاك ما كنت ابكي
الى الصباح وانكي فنظر الى الغلام وتبسم فعلمت ان الشعر له وكدت والله اطير طربا وفرحا بملاحة خلقه
وجودة ضربه وعذوبة الفاظه وتكامل حسنه فاستدعيت كبيرا فاحضر الخادم عدة قطاع من
فاخر البلور وجيد المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ما شربت ثم قال لي انا والله يا سيدي احب
ترفيهك وان لا اقطعك عما انت موفر عليه ولكن اذا عرفت الاسم والنسب والصناعه واللقب فلا بد
ان تشتي ليلتنا بيتي يكون لها طرازا وتذكرها معلما فجذبت الدواه وكتبت ارتجالا وقد اخذ الشراب مني
وليلة اوسعتني حسنا وليها وانسا مازلت الثم بدرا واشرب شمسا اذا اطلع الدير سعدا لم يبق مذ بان نحسا
فصار للروح مني روحا وللنفس نفسا فطرب على مثلي الثم بدرا واشرب شمسا وجذب غلامه فقبله
وقال ما جعلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير وانما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فبحياتي الا فعلت
مثل ذلك بغلامك فانبعثت مثل قوله ابتداره خوفا من احتشامه واخذ الابيات وجعل يرددها وكتب
اجازه لها ولم اكن لغريمي والله ابدل فلسا لو انني لي خصما بدير مران حبسا فقلت له اذا
والله ما كان احد حقا ولا باطلا واذاعته في هذا المعنى بما حضر وعرفت في الجمله انه مستتر
من دين قد ركبه وقال لي قد خرج لك اكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت الحال التي فيها علي
صورتها فتبينت ما يوثره من كتمان امره فقلت له يا سيدي كل ما لم يتعرب بك نكره وقد اغنت
المشاهده عن الاعتذار ونابت الخبره عن الاستخبار وجعل يشرب ويتحب علي من غير اكراه
ولا حث ولا استبطا الى ان رايت الشراب قد دب فيه واكب على محادثة غلامه والفطنه
تثنيه في الوقت بعد الوقت فاظهرت السكر وحاولت النوم وجا الغلام بردعه فرشها لي
بازا بردعته فنهضت اليها وقام يتفقد امري بنفسه فقلت له ان لي مذهبا في تقريب
غلامي مني واعتمدت ذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال بغلامه فتبسم وقال لي بسره جمع انه
لك شمل المسره كما جمعه لي بك واظهرت النوم وعاد يحادث غلامه تارة ويقبل يده وتارة فمه
وغلبتني عيناي الى ان ايقظني هوا السحر فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس
فاردت توديعه وحاذرت انتباهه وازعاجه فخرجت ولقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه
انصرافي فاقسمت عليه ان لا يفعل ووجدت غلامي قد بكر بما اركبه كما كنت امرته فركبت
منصرفا دعا ملا على العود اليه والتوفر على مواصلته واخذ الحظ من معاشرته ومتوهما ان ما
كنت فيه منام لطيبه وقرب اوله من اخره واعترضتني اسباب ادت الى اللحاق بسيف الدوله
فسرت الى الشام حسره لما فاتني من معاودة القلايه وقلت في ذلك شعرا

ويوم كان الدهر سامحني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر جرت فيه افراس الصبا بارتياحنا
الى دير مران المعظم والعمر بحيث هوا الغوطتين معطرا لنسيم بانفاس الرياحين والزهر
فمن روضه بالحسن تزرد روضه ومن نهر بالفيض يجري الى نهر وفي الهيكل المعمور منه اقتنعتها
وصحبي حلالا بعد توفية المهر ونزهة عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها اشرب التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محرما وهل يحظر المحظور في بلد الكفر فاهدت لي الايام فيه مودة
دعتني في ستر فلبيت في ستر اي من شريف الطبع اصدق رغبة تخاطبني عن معدن النظم والنثر
فكان جوابي طاعة لا مقالة ومن ذا الذي لا يستجيب الى البسر فلا قيت ملاء العين نبلا وهمة

Copyright © King Saud University